47) رحلة التجاني ,147

48) العبر ,ج6 ,933

49) ابن القنفد , الفارسيّة ,تونس 1968 ,141 ؛ العبر , ج6 ,690 ؛ الزركشي ,تاريخ الدولتين , تونس 1966 ,45

50) العبر ,ج6 ,772

51) القلقشندي , نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب , القاهرة ـــ بيروت 1991 ,60

52) العبر , ج6 ,786 ؛ تاريخ الدولتين ,71-72

53) العبر , ج6 , 936

54) ن م , 812

55) ن م ,878 , 938

56) ن م ,979 , 939 ؛ الشمّاع ,الأدلّة البيّنة النورانيّة في مفاخر الدولة الحفصيّة , تونس 1984 ,110 ؛ تاريخ الدولتين , 109

57) تاريخ الدولتين , 110

58) العبر ,ج6 ,905 .

59) الفارسية ,188 ؛ الأدلّة 112 ,؛ تاريخ الدولتين ,114 .

60) الفارسية , 197 ؛ ابن ناجي , معالم الإيمان , تونس 1320 هـ ,258 ؛ تاريخ الدولتين , 120

61) MONCHICOURT, Études kairouanaises, Tunis 1939 , 170 ,172

علي الشابي , عرفة الشابي ,تونس 1982 , 44

Ibla* 12, rue Jamaa al-Haoua*1008 Tunis*2*2002*N°190

الذاكرة العائلية وواقع مجموعة مستاوة في جزيرة جربة خلال القرنين 18 و 19م [1]

محمد المريمي

مقدمة

يستكون مجتمع جزيرة جربة خلال العصر الحديث والفترة المعاصرة ـــ وإلى اليوم ـــ من عدة مجموعات محلية ذات توجهات فكرية وعقائدية متباينة: أهل السنة (مالكية وحنفية) والاباضية (وهبية ومستاوة) واليهود. ويتركز اهتمامنا، في هذا المقال، على مجموعة مستاوة.

ووقع اختيارنا على دراسة الذاكرة العائلية لآل الساطوري في علاقتها بالذاكرة التاريخية لمجموعة مستاوة نظرا لما توفر لنا عنها من وثائق شفوية ومكتوبة: تمتاز الوثائق المكتوبة بقلة عددها[2] وتتيح الروايات الشفوية [3] التي تروج حول الشيخ سالم

---

[1] قدم هذا المقال في ندوة نظمها قسم التاريخ بكلية الآداب بسوسة أيام 8 – 9 – 10 ديسمبر سنة 1994 حول: *الموضوع التاريخي وطرق مقاربته*.

[2] تم جمع هذه الوثائق في صائفة سنة 1994 مدنا بها الشيخ سعيد الساطوري مشكورا، وهو المشرف على الزاوية التي نعرف بها لاحقا. وهي وثائق مختلفة يزيد عددها عن 16 وثيقة بعضها بدون تاريخ وأقدمها ترجع إلى سنة 1220هـ (= 1805 – 1806م) وبعضها الاخر متأخرة تعود إلى القرن 20م تضمنت وثائق وقف الزاوية، ورسوم حسابات ووثائق رسمية لتولية أفراد الساطوري في وظائف مختلفة ورسوم لشجرة آل الساطوري الخ وقمنا مع ذلك بإجراء احاديث مطولة مع

الساطوري، مؤسس العائلة، إمكانية دراستها دراسة تاريخية. وتمكن هذه الوثائق على قلتها من متابعة تطور العائلة على امتداد فترة طويلة نسبيا تمتد على القرنين 12 هـ و 13 هـ (القرنين 18 و19 م) خاصة إذا ما قورنت بالوثائق المحفوظة في الأرشيف الوطني والوثائق المحلية الإباضية المتوفرة.

ويعلن أفراد عائلة الساطوري اليوم، مثلهم مثل أهل مستاوة بشكل عام، انتسابهم إلى المالكيـــة. وترتـــبط عائلة الساطوري في جزيرة جربة بزاوية خاصة تعرف بزاوية الســـاطوري تذكر بالزوايا المالكية. وتفيد الوثائق التاريخية للعصر الحديث وقبله، في المقابل، أن أهل مستاوة كانوا ينتسبون في الماضي إلى الأباضـــــية. و" نسيت " عدة عـــائلات مـــن مستاوة اليوم أنها كانت تنتسب في العصر الحديث إلى الأباضية وأن مستاوة كانت تعد فرقة من الفرق الاباضية.

ويظهـــر في يومـــنا الحاضر مشايخ الدين والعلم في طائفة الوهبية عدم الاعتراف بالتحول الذي شهدته عائلات مجموعة مستاوة في انتمائها الفكري والمذهبي ولا يريد أهـــل الوهـــبية الإقرار بمالكية مستاوة المحدثة. ويعتبر هؤلاء أنه لا اختلاف اليوم بين مستاوة والوهبية فكلاهما أباضية [4].

الشيخ سعيد الساطوري عن العائلة وعن مستاوة والمالكية والاباضية. وتطرق في خطابه، في عدة مناسبات إلى الشيخ إبراهيم الجمني المالكي وإلى تاريخ الاباضية.

[3] تتيح لنا الروايات الشفوية فرصة التنويع في المصادر التاريخية فلا يمكن أن تكون الذاكرة العائلية قد نسجتها بصفة بحانية، لذا تجدر معرفة أسباب نسجها وتاريخ إنتاجها.

[4] سالم بن يعقوب وقاسم قوحة: " رد على مقال نشر بالحياة الثقافية سابقا "، في *الحياة الثقافية*، عدد 38، تونس ، 1985. ملاحظة: تكتب لفظة الساطوري بكتابات مختلفة في الوثائق التاريخية التي أمكن لنا جمعها من أرشيف عائلة الساطوري: الصاطوري، الساطور، الساطوري . وتكتب اللفظة اليوم عند أفراد عائلة الساطوري هكذا وهي التي نعتمدها في المقال.

ومهما يكن الأمر يبرز واقع أهل مستاوة وعائلة الساطوري والعائلات المماثلة لها اليـــوم، أن هـــذه المجموعـــة المحلية قد تحول أفرادها من الانتساب من التفكير المذهبي الاباضي إلى التفكير المذهبي المالكي. وعليه تطرح عدة أسئلة:

كيف انتقل أهل مستاوة من الاباضية إلى المالكية؟ ومتى تم ذلك؟ وما هي العلاقة بين الذاكرة العائلية من جهة والممارسة الاجتماعية (و/أو الإستراتيجية الاجتماعية) للعائلة وللمجموعة المنتسبة إليها من جهة أخرى؟

وللإجابـــة عـــن التســـاؤلات المطـــروحة، يجدر بنا أولا أن نتعرف عن عائلة الساطوري وزاوية الساطوري المالكية ونبين الانتماء الاباضي لعائلة الساطوري السابق. وســـنتعرض ثانيـــا للروايات الشفوية التي نسجتها الذاكرة الجماعية لمستاوة وسنقوم بتحليلها.و نتتبع أخيرا أهم النتائج التي حصل عليها أهل مستاوة على مستوى العلاقة بالقوى الأخرى مثل المجموعات المحلية والسلطة الحسينية ، جراء انتساب عائلاتهم ـــ خاصة عائلة الساطوري ـــ إلى المالكية.

I – عائلة الساطوري : المشهد المالكي والمشهد الأباضي.

1 – المشهد المالكي لعائلة الساطوري.

أ - عائلة الساطوري، المستفيدة من حبس زاوية مالكية.

توجد زاوية الساطوري التي اقترن اسمها بالعائلة بتربلة المعروفة بحومة الظهرة (أو الظهيرة) في بني معقل بالقسم الشرقي من جزيرة جربة. ويعرف المؤرخ رياض المرابط جـــامع الساطوري بأنه معلم ريفي يوجد على هضبة مشرفة على الساحل القبلي من جزيرة جربة ويحتل مساحة شاسعة في شكل مستطيل (180مx30 م) [5].

---

[5] رياض المرابط: *جوامع ومساجد جزيرة جربة في العصرين الحفصي والمرادي: دراسة أثرية وتاريخية*، رسالة دكتوراه، جامعة تونس 1 ، تونس 1996، ص 451.

وأمكـــن لنا الحصول على وثيقة ـــ أسفلها غير واضح الكتابة بالقدر الكافي ـــ بدون تاريخ، تحمل العنوان التالي: "الحمد لله هاذا (كذا) زمام سنذكر فيه جملة زيتون الشـــيخ ســـالم الصاطوري" [6] تحدد وقف زاوية الساطوري. وأحصينا من خلال هذه الوثيقة جملة الزيتون[7] التي يتكون منها حبس زاوية الساطوري وبلغت جملتها حوالي 60 أصلا [8].

وتم جمع وقف الزاوية سواء عن طريق الهبة، وهي الشكل السائد في تأسيس أملاك الزاوية، أو بصفة نادرة عن طريق الشراء [9].

وســـاهم في رصـــيد حـــبس زاوية الشيخ سالم الساطوري [10] أفراد من عائلة الســـاطوري ومن غيرها. وشارك في تكوينه أفراد من النساء ومن الرجال. واقترنت

---

[6] *أرشيف عائلة الساطوري*: وثيقة وقفية بدون تاريخ. قد تكون ترجع إلى القرن 19 م.

[7] من نوع الشملالي والزلماطي و" الغروس " و" الغصون "، وهي ألفاظ تدل على اختلاف أعمار أشجار الزيتون.

[8] وتوزع هذه الثروة من الناحية الجغرافية في مواقع متعددة من جهات الجزء الشرقي من جزيرة جربة خاصة. فأمكن لنا رصد جملة من المواقع تنتشر فيها أملاك حبس زاوية سالم الساطوري منها " الدحامنة "، و" غابة مغزال "، و" بتاس "، و" واد تلوين "، و" مكران ". ومن جهة أخرى تنتشر أشجار الزيتون تلك أيضا داخل أملاك خاصة عديدة ومن الأمثلة على ذلك جنان سلامة بن زيد، وجنان أولاد عيسى وغيرها.

[9] وحالة الشراء الوحيدة التي نصت عليها الوثيقة شراء شجرة زيتون واحدة من يونس بن عمر الجن " زيتونة مشرية من يونس بن عمر الجن ".

[10] وتصنف الأحباس، في البلاد التونسية، كسائر البلدان الإسلامية الأخرى إلى ثلاثة أنواع وهي الحبس الخاص والحبس العام والحبس المشترك. وحبس زاوية الساطوري هو من نوع " الحبس المشترك ". يعرفه محمد العزيز بن عاشور بأن المحبس، وهو عادة من رجال العلم والصلاح، يؤسس لصالح الزاوية حبسا وينص على أن عائدات الحبس تصرف لصيانة المسجد والقائمين عليه والمصلين أنظر:

أســـماء بعض المشاركين في تكوين وقف زاوية سالم الساطوري، بنعوت مختلفة فنجد "الفقيه" "والحاج". ووصف بعضهم "بأولاد" فلان (أولاد الفقيه إبراهيم بن عمران) أو "وراث" بمعـــنى ورثـــة (وراث الحاج حمود الجن). وكانت زاوية الساطوري تستمد نبضها من أهمية ذلك الحبس.[11]

وإن كنا نجهل هل كان منشأ حبس زاوية الساطوري في الأصل من أملاك سالم الساطوري أم من غيره لكنه من المؤكد أن الحبس حسبما تجمع عليه الوثائق التاريخية التي بحوزتنا والخاصة بعائلة الساطوري هو ثمرة ما جمعته العائلة من الذين كانوا يريدون التقرب إلى الله فحبسوا عقارا أو غيره لفائدة الزاوية.

وتفيد دراسة الوثائق التاريخية المتوفرة الخاصة بعائلة الساطوري، أن المتصرف في أملاك الزاوية وإنتاجها هو "شيخ زاوية الساطوري" شغل هذه الخطة في سنة 1365هـــ (=1940) الشيخ سعيد بن عبد الله الساطوري ويطلق على المؤسسة في بعض الوثائق أيضا عبارة " شيخ ووكيل أوقاف الزاوية " شغلها سنة 1346هـــ (= 1923) سليمان بـــن عـــبد العزيز الساطوري [12]. وسواء كانت المؤسسة "مشيخة الزاوية" أو "شيخ ووكيـــل الـــزاوية" فقد تعاقب عليها أحفاد الساطوري وانفردوا بالتصرف في حبس الزاوية وأملاكها مثلما كان يسمح به الفقه المالكي.

ويلاحـــظ أن التصرف في الأحباس، خاصة الأحباس العامة، في البلاد التونسية، كانت تحتكر التصرف فيها العائلات التي يشغل أفرادها مؤسسة الإمامة. وكانت ترجع بالنظر خلال العصر الحديث إلى القاضي الحنفي ورقابته، وإليه أيضا يرجع بشكل من الأشـــكال الـــنظر في الأحباس المشتركة ـــ التي هي بين الأحباس العامة والأحباس

BEN ACHOUR (M.E. A.), " Le habous ou waqf, l'institution juridique et la pratique tunisoise " in (Sophie) FERCHIOU (sous la direction de) *Hasab wa Nasab*, c.n.r.s. , Paris, 1992, p. 63.

[11] *أرشيف عائلة الساطوري*: وثيقة وقفية، نفس المصدر.

[12] *أرشيف عائلة الساطوري*: وثائق مالية ترجع إلى القرن ال19م.

الخاصـــة ـــ وخـــلال الفترة المعاصرة، خاصة بداية من سنة 1874، إلى رقابة جمعية الأوقاف.

ونحـــن نذهب إلى الاعتقاد أن أحباس زاوية سالم الساطوري بقيت في التصرف الكلي لأفراد عائلة الساطوري دون أي رقابة فعلية. وعلى أية حال، كان أفراد عائلة الساطوري يتمتعون بفائض عائدات الحبس [13] .

وســـنرى لاحقـــا أن ما ينص عليه باب الحبس في الفقه الاباضي يشتمل على اخـــتلاف مـــع الفقـــه المالكي على الأقل في ما يخص الحبس المشترك. ويتضمن هذا الاختلاف خاصة ولاية التصرف في الحبس من جهة. فليس هناك في النظام الاباضي ما يقـــابل مؤسسة "شيخ الزاوية" عند المالكية بشكل عام. ويتضمن الاختلاف أيضا في طريقة التصرف في الحبس وأشكال استغلاله من جهة أخرى. وإذا ما عرفنا أن الحبس العام في النظام الاباضي يكون في حوز إدارة نظام العزابة المحلي وتصرفها، نلاحظ أن حبس زاوية الساطوري يخرج من دائرة المنظومة الاباضية ويندرج ضمن الأحباس التي كان يحكمها الفقه السني.

ب ـــ رواية الأصل، الوجه الآخر من "مالكية" الساطوري.

وترجع عائلة الساطوري اليوم في أصلها إلى مؤسسها سالم بن إبراهيم بن إسحاق الساطوري الذي ينعت في الذاكرة العائلية بلفظة "الشيخ" وبلفظة "سيدي" واقترن اسمه بتأسيس الجامع المعروف باسم العائلة. ولم ترد ترجمته في أي كتاب من كتب التراجم المالكية أو الأباضية [14] .

---

[13] لم نعثر في وثائق خزينة أملاك الدولة على أي ملف أو وثيقة تخص أحباس زاوية الساطوري

[14] *أرشيف عائلة الساطوري* : شجرة نسب سالم بن إبراهيم الساطوري كتبها الحاج سعيد بن الحاج عبد السلام الساطوري بتاريخ 1406 (= 1986).

وتـــرجع الذاكـــرة العائلية، هجرة سالم الساطوري من بلاد غيلان بالمغرب إلى جزيرة جربة إلى القرن 8 هجري (= 14م). وقد لا تكون هذه المرجعية الزمنية مرجعية اباضية. فخلال القرن 15 و16 (= 9 و10 هـــ) وخاصة خلال حكم أبي عمرو عثمان الحفصي (838-894/1435-1488) كانت المجموعة الوهبية تمسك زمام الأمور بجزيرة جربة وتنافس بشدة مجموعة الاباضية النكار.

وبدأ حينها يتبلور وجود مجموعة محلية مالكية بحومة السوق. ووجدت في جربة آنذاك مؤسسات دينية مالكية نذكر منها خاصة مسجد "تاوريت" و"جامع الغرباء". وبـــدأت العائلات المالكية تتجذر في المكان عن طريق أدوات شتى منها ملكية الأرض وغيرها [15] .

ويـــرجع أصل سالم الساطوري في رواية أولى إلى بلاد غيلان وفي رواية ثانية إلى جهـــة الغرب [16] . وسواء كان مغربي الأصل أو غيلاني بالذات فإن عائلة الساطوري تتـــبنى خطابا يذكر بخطاب العائلات المالكية التي تستمد من أصولها المغربية "شرف" العائـــلة خاصـــة. وكان مرجع الساقية الحمراء والمغرب بصفة عامة في خطاب رواية الأصل عند الكثير من العائلات في الشمال الإفريقي مؤسسا للشرف [17] .

---

[15] قاسم عظوم: أجوبة عظوم، مخطوط، *المكتبة الوطنية* بتونس رقم 4854، ج 1، ص 47. أبو عبد الله ابن الشماع، *الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية*، تحقيق الطاهر المعموري،الدار العربية للكتاب، تونس، 1984، ص 121. برنشفيك، *تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15*، ترجمة حمادي الساحلي، بيروت، 2ج، 1988، ج 2، ص 441.محمد المريمي، *التفكير المذهبي...*، نفس المصدر، 1994، ج 2، ص 381 وما بعدها.

[16] *أرشيف عائلة الساطوري*، وثيقة رسم شجرة نسب سيدي سالم الصاطوري وأحفاده بتاريخ 1406 (= 1986 م)، كتبها الحاج سعيد بن الحاج عبد السلام الصاطوري.

[17] أنظر، محمد ابن خوجة: " كيف انتشر الشرف بإفريقية ومتى ظهرت خطة نقيب الأشراف بتونس"، في *المجلة الزيتونية*، ج 8 و9، ماي- جوان 1938، ص ص 372 – 384. محمد المريمي، *التفكير المذهبي...*، 1994، نفس المرجع، ص 396.

وليس هناك في التفكير المذهبي لاباضية جربة ما يقابل مفهوم الشرف عند المجموعات المالكية والحنفية فيما يوجد عند الاباضية ما يعرف "بالعلماء العاملين"[18]. ويلقب المشايخ "بالعلماء العاملين" لما يكونون من مشايخ الدين والعلم. فيتم تشريكهم في الوظائف الادارية والسياسية ضمن مجالس العزابة على مستوى المسجد والحومة والاقليم والطائفة. وكان أفراد العائلات الممائلة لعائلة الساطوري يلقبون عند المجموعات الأباضية الساطوري بجربة "بالعلماء العاملين". وعليه قد تكون عائلة مستاوة اتخذت من الأحداث المالكية مرجعا لها راهنت عليه فتميزت عن الوهبية الذين يذهبون إلى القول أنه لم يكن للمالكية وجود قبل القرن 16[19].

وكانت غاية عائلة الساطوري من رواية الأصل وإعطائها الأسبقية عن الانتماء إلى الاباضية ومن التأسيس لمرجعية الجد ـــ جد العائلة ـــ هي تبرير تولي مؤسسة مشيخة الزاوية والتصرف في حبسها والتعاقب عليها تماما مثلما كانت تفعل العائلات المالكية لما تريد أن تنفرد بزعامة الزوايا وتتصرف في أحباسها. فلم يعد يبرز في خطاب الساطوري جانب اباضية العائلة بقدر ما أصبح يركز على "أسطورة" الأصل الجغرافي.

---

[18] انظر فرحات الجعبيري، *نظام العزابة عند الأباضية الوهبية في جربة*، تونس، المعهد القومي للآثار والفنون، 1975.

[19] انظر محمد المرمي، *التفكير المذهبي...*، نفس المصدر، 1994، ج 2، ص 386.وتبرز شجرة نسب عائلة سالم الساطوري وأحفاده ثلاثة أزمنة: ـــ **الزمن الأول:** هو زمن مؤسس عائلة الساطوري وتبرز الرواية سالم الساطوري، في هذه المرحلة من خلال الألقاب التي ينعت بها فهو " الشيخ " وهو " السيد ". ويعرف بوالده إبراهيم وبجده إسحاق الساطوري الذي تضاف إليه صفة " الغيلاني " إشارة إلى جذوره من بلاد غيلان بالمغرب. ـــ **الزمن الثاني:** وهو زمن غير معروف لا نعثر فيه عن معلومات عن عائلة الساطوري، ويعبر عن " نسيان " أحفاد الساطوري لتاريخ عائلتهم المرتبط بهذه المرحلة.ـــ **الزمن القريب:** تظهر خلاله خمسة فروع لعائلة الساطوري وهي فرع عائلة الحاج قاسم وعائلة الفقيه علي و" عيال " (بمعنى عائلة) الفقيه عمر و" عيال " الفقيه رحومه وعائلة بن حلال.

فامتد تأثير رواية الأصل لعائلة الساطوري في المناطق التي ينتشر فيها حبس زاوية الساطوري داخل المجتمع الريفي بجربة. وأسست العائلة بالتوازي مع ذلك شبكة من العلاقات مع هياكل النفوذ المركزي والعائلات المالكية في جربة وخارجها منها عائلة الجمني بحومة السوق وعدد من العائلات الدينية المالكية بسائر الايالة التونسية[20].

2 – المشهد الأباضي لعائلة الساطوري.

يذكر لوفيسكي، أن التفكير المذهبي الاباضي جاء إلى البلاد التونسية من طرابلس وانتشر انتشارا واسعا في الأوساط البربرية بجهات جربة وجرجيس وورغمة ومطماطة ونفزاوة والجريد في عهد الإمام عبد الوهاب الرستمي 168-208 هـ (=784ـــ824)[21]. وانتشرت دعوة النكار في جربة ضمن نشأة الفرقة في شمال افريقيا بعد الصراع الاباضي ـــ الاباضي سنة 168 هـ(=784ـــ785)[22] وتواصل وجود النكار بجربة منذ ذلك الحين إلى العصر الحديث والفترة المعاصرة.

ويذكر التجاني أن أهل جربة كانوا فرقتين. وصف واحدة منها بالنكار، وكان على رأسها شيخ، " شيخ النكارة " فر من الجزيرة لما وصل إليها زكرياء بن اللحياني[23] في تفقد شؤون البلاد التونسية ومحاربة الأسبان المغتصبين لجربة سنة 1306 م (= 706 هـ)[24]. فكان التفكير الاباضي النكاري[25] يحدد علاقة فرقة النكار في جربة بالسلطة المركزية.[26]

---

[20] من دلك أننا كثيرا ما نرى مشايخ الساطوري يستشهدون في خطابهم اليوم بزاوية الجمني وبإبراهيم الجمني المؤسس للزاوية.

[21] T. LEWICKI, "Les subdivisions de l'Ibadyya", in *Studia Islamica*, 1958, p.71-82

[22] T. LEWICKI, "Les subdivisions... ", art. cit.1958

[23] بالنسبة إلى التعريف بهذا السلطان الحفصي الذي عاصره التجاني وصاحبه في رحلته بالبلاد في القرن 14 م انظر، التجاني: *الرحلة...*، 1981، نفس المصدر.

[24] التجاني: *رحلة...*، 1981، نفس المصدر، مقدمة حسن حسني عبد الوهاب.

واستعملت لفظة مستاوة خلال العصر الحديث بشكل خاص من قبل السلطة الحسينية للدلالة على أهل جربة الأباضية غير الوهبية. فلقد كانت هذه اللفظة مستعملة في الدفاتر التي تخصصها السلطة المركزية بتونس لنقل الجباية الموظفة على أهل جزيرة جربة.وكانت السلطة ترمي إلى التفريق بين المجموعات الاباضية وعدم فسح المجال أمام توحدها فكانت تقسم أهل جربة إلى وهبية ومستاوة [27].

ومهما يكن الأمر، فإن السلطة الحسينية تتعامل مع مستاوة على أساس انتسابهم إلى الاباضية فتقسمهم من الناحية الإدارية والجبائية إلى أخماس وتتعامل مع هياكل محلية وفقا لجباية تقوم على أصل شرعي وعلى أساس انتماء عائلات مجموعة مستاوة إلى المذهب الاباضي فتوضف عليهم ضرائب من قبيل "قانون القطيع" و"قانون بر الترك" لا تفرض في مناطق أخرى بالبلاد التونسية [28].

ويذكر سالم بن يعقوب وقاسم قوجة [29]، وهما من مشايخ الدين والعلم الاباضية الوهبية، من جهتيهما أن النكار بجربة فرقتان الأولى خلفية أتباع خلف بن سمح

---

25 يذكر سالم بن يعقوب وقاسم قوجة في خصوصية التفكير النكاري أنه لا توجد بين الوهبية ومستاوة سوى " فروق قليلة طفيفة لا تعدو بعض الفروع والهوامش بعيدة عن الأصول والأسس "ولهذا السبب قد يتنكر وهبي أو يتوهب نكاري فالوهبية والنكار جميعهم إباضية، انظر، " رد على مقال نشر بالحياة الثقافية سابقا "، في *الحياة الثقافية*، عدد 38، 1985، ص 249.

26 *الأرشيف الوطني*، الدفتر رقم 60.

27 ألفاظ مستاوة والوهبية سابقة للعهد الحسيني إلا أن الدولة الحسينية استعملتها لغايات جبائية وإدارية وسياسية.

28 انظر الأساس الشرعي لهذه الآداءات في، محمد المرعي، *التفكير المذهبي...*، 1994، نفس المصدر.

29 سالم بن يعقوب هو شيخ أباضية جربة ومؤرخها توفي سنة 1991م وقاسم قوجة كان مدرسا وواعظا وخطيبا وإماما في جامع الشيخ الاباضي بحومة السوق ، انظر تراجمهما في مقدمة كتاب، الشيخ سليمان الحيلاني: *علماء جربة المسمى رسائل سليمان بن أحمد الجيلاني الجربي*، تحقيق، محمد قوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص ااا.

ومستاوة أتباع عبد الله بن يزيد الفزاري البصري و لم يضمحلا إلا مؤخرا بحيث بقيتا تتعايشان مع الوهبية زمنا طويلا [30].

ولا يهمنا جذور الاباضية النكار التاريخية بقدر ما يهمنا ذلك الرصيد المرجعي الذي أسس له الذين انتسبوا إلى التفكير المذهبي النكاري انطلاقا من الأحداث التاريخية التي مرت بها المجموعة والرموز الفكرية والثقافية التي أنتجوها فأصبح رصيدهم المرجعي يمثل قوة فكرية وثقافية وسياسية بالنسبة إلى الفترة التي تهمنا ـــ العصر الحديث ـــ تبرر واقع مجموعة مستاوة وتمكن من توليده.

وتعتبر عائلات مستاوة نفسها على ذلك الأساس، مثلما هو الشأن بالنسبة إلى العائلات الوهبية، عائلات محلية بانتساب أفرادها إلى الاباضية أولا. فكان التفكير المذهبي الاباضي بما يحتويه من قواعد فقهية وسياسة عرفية أداة تمكن هياكل النفوذ المحلي من رسم سياسة المجموعات المحلية في ما بينها ومع القوى الخارجية وخاصة مع السلطة المركزية وهو الأمر الذي نستنتجه من كتب الإخباريين ودفاتر الجباية للعهد الحسيني بالبلاد التونسية [31].

وأسقطت العائلات الأباضية بجربة بشكل عام انتماء أفرادها إلى الأصول العربية أو البربرية إلى مرتبة دنيا. فكان أفراد عائلة الباروني مثلا يعلنون انتسابهم إلى الاباضية أولا وإلى العنصر العربي ثانيا [32]. كذلك الشأن بالنسبة إلى العائلات التي تنحدر من قرى جبل نفوسة مثل عائلة الشماخي وغيرها.

---

30 سالم بن يعقوب وقاسم قوجة: " رد على مقال ..."، *نفس المصدر*، 1985، ص 247.

31 التجاني: *رحلة...*، 1981، نفس المصدر.

32 تتجسد ظاهرة أسبقية انتساب عائلة الباروني إلى الاباضية بالمقارنة مع الانتماء إلى الأصل العربي في عناية العائلة في جمع كل الأدبيات المتعلقة بالمذهب الاباضي. فعائلة الباروني تملك مكتبة اباضية خاصة. كما أن تمسك عائلة الباروني بالمذهب الاباضي يأتي من كون أفراد العائلة كانوا دائما أعيان داخل مجموعاتهم المحلية يتولون مختلف الوظائف الادارية والسياسية. التي تقوم على المذهب الاباضي.

وإلى جـــانب الانتساب المذهبي والعرقي، اعتمد أهل مستاوة على الفقه الاباضي كأهم مكونات رصيدهم الفكري والثقافي، وكان الفقه الاباضي عند مستاوة يشبه ، في جوهره، الفقه المعتمد عند المجموعة الاباضية الوهبية [33].

ومجمـــل القـــول، تعطي دراسة مجموعة مستاوة للباحث صورة مزدوجة مالكية أواباضية. وتبدو صورة مستاوة صورة أباضية في الأصل ثم تتحول إلى مالكية وتتشكل انطلاقـــا مـــن داخل المجموعة ذاتها بالأساس ليتقبلها "الآخر" ويتعامل معها على ذلك الأســـاس.. والسؤال الذي وجب علينا توضيحه هو التالي: ما هي الأدوات الفكرية والثقافية التي مكنت أهل مستاوة ـــ وعائلة الساطوري بالخصوص ـــ من هذه النقلة النوعية من الأباضية إلى المالكية ؟

فالأمر لا يتعلق بمجرد ثقافة مهيمنة على أهل مستاوة بل كذلك بنمط تصرف في المؤسســـات و بالتالي بالنظام الاجتماعي والسياسي المهيمن على واقع المجموعة المحلية. والسؤال الثاني الذي وجبت الاجابة عليه أيضا هو: متى تم لعائلة الساطوري ومجموعة مستاوة التنصل من أباضيتهم لتحل المظاهر المالكية المكانة الأولى في ذاكرتهم العائلية ؟

II - تحول مجموعة مستاوة الاباضية إلى مالكية.

نسجت عائلة الساطوري روايات شفوية أسست لتحول هام في مجموعة مستاوة وكانت تشكل إحدى الأدوات التي مكنت من الانتقال من وضع المجموعة الاباضية إلى وضع المجموعة التي يحكمها الانتماء إلى المالكية.

1 ـــ الروايات الشفوية التي تروج لها عائلة الساطوري.

تحتفظ الذاكرة العائلية لآل الساطوري اليوم بثلاث روايات شفوية بدون تاريخ نســـجت الأولى في شكل نص شعري، والثانية والثالثة نصوصها نثرية تتعلق بالشيخ

[33] سالم بن يعقوب وقاسم قوجة: " رد على مقال ..."، *نفس المرجع*، 1985.

مؤسس العائلة سالم الساطوري. وتبرز كل من هذه الروايات إحدى كرامات الولي الصالح سالم الساطوري.

تمتاز الروايات الثلاث بأن لها نص داخلي منسجم تتدرج أحداثها تدرجا منطقيا.

الـــرواية الأولى : تؤســـس الرواية الأولى، من الداخل، لعالم يحتل فيه الجد المؤسس للعائـــلة المركز. ويتكون هذا العالم من العالم الإلهي الذي يترل آل الساطوري أنفسهم فيـــه وعـــالم الشر، ويوصف بعالم الشيطان. ويصنف آل الساطوري عائلتهم ضمن تسلســـل يـــبدأ بالرســـول وآل البيت والصحابة وينتهي بالأتباع (أتباع الرسول). ويوصف سالم الساطوري المؤسس للعائلة في هذه الرواية بالجد وتسند له صفة الشيخ والـــولي الصالح وصاحب البرهان. ويعرف بأنه "صاحب الثابوت" و"صاحب القبة". كما ينعت "بصاحب السريرة" و"صاحب المجد" و"صاحب الكرامة" [34].

وتـــنص الرواية على أن سالم الساطوري ينحدر من أصل غير محلي فلقد وفد إلى جزيـــرة جربة من غيلان، وأسس لحمى داخل الجزيرة في جهة الظهيرة ببني معقل في الجهـــة الشرقية من جربة.تمثلت كرامته في هذه الرواية في أنه جلب أباه الذي احتجزه "الكفـــار"، "المشـــركون"، بعـــد أن رحـــلوا به إلى بلدهم، جلبه وهو مسلسل من رجـــليه.وتذكر هذه الرواية بروايات مماثلة في أنحاء مختلفة من البلاد التونسية من بينها كرامة الولية الصالحة العجولة المؤسسة لزاوية العجولة التي درسها الأستاذ عبد الحميد هنية والكائنة في بلدة رأس الجبل وتلقب السيدة العجولة اليوم "بجيابة الأسير" [35]

وعـــرفت جزيرة جربة عدة تجارب مع المسيحيين تمثلت في الحملات المتقطعة بين ســـنة 1135م (=530 هـــ) مع روجي الصقلي إلى سنة 1432م (=836) حين غزاها الفونســـو الخـــامس ملك الأرغون وتواصلت الحملات إلى بداية القرن 16 م (=10

[34] *أرشيف عائلة الساطوري.*

[35] HENIA Abdelhamid, « Mémoire lignagère et gestion du capital symbolique d'une zaouia » in *Les Cahiers de Tunisie*, T.XLV , n°159- 160 , Année 1992 (1-2 trim.) , pp71-88

هـــ)[36]. ولا شـــك أن الذاكرة العائلية لآل الساطوري ترجع إلى حدث من هذه الأحداث التاريخية لنسج الروايات حول الشيخ سالم الساطوري، ونحن نفترض أن أفراد عائلة الساطوري، قد شاركوا في مواجهة الحملات المسيحية المتكررة على جربة خلال تلك المرحلة. فكان خطابهم يحتوي على تضحيتهم في سبيل الجزيرة وأهلها.

ونحن ذكرنا أن الذاكرة العائلية لآل الساطوري تقر أن سالم الساطوري كان في عصره في القرن 8 هـــ (=14م)، يشغل خطة مرابط، وهي إحدى الوظائف في الجهاز العســـكري لنظام العزابة الاباضية بجزيرة جربة. فلم تكن الرواية إذن دون علاقة بهذه الخطة التي شغلها الساطوري في عصره.

وتذكـــر الـــرواية أنـــه بعد انتهاء الآذان والصلاة، أطلع الشيخ سالم الساطوري "الجماعـــة"، "جماعة المصلين بالمسجد"، على خبر جلبه أبيه الأسير من بلاد "الكفار". فلعـــبت الرواية دورا هاما تمثل في جعلها الجماعة ـــ التي هي مركز المسجد في نظام العـــزابة الاباضـــي ـــ تتحول من مركز تدور حوله كافة المؤسسات التي يقوم عليها المسجد إلى طرف فوصفتها الرواية "بالجيران" (بعد أن كانت صاحبة البيت) وجعلت في نفس الوقت المؤسسة الدينية، بجميع شؤونها، تدور في فلك عائلة الساطوري ويصبح أفراد العائلة المستفيدون الأول منها.

الـــرواية الـــثانية والثالـــثة : تتمحور هاتين الروايتين هي الأخرى حول الشيخ سالم الســـاطوري، الجـــد المؤســـس لعائلة الساطوري. وتتناول كل رواية منها كرامة من الكرامات التي تروى حول الشيخ الساطوري في الذاكرة العائلية.

تعيد الرواية الأولى رسم شجرة عائلة الساطوري، فتطلق على أفراد العائلة عبارة " أولاد الساطوري". وتتكون هذه العائلة من ثلاثة "أولاد" انحدرت منهم خمس عائلات موزعـــة على خمسة منازل [37] يعرف كل واحد منها باسم مؤسسه فنجد منزل علي،

[36] DJELLOUL Neji, *Les Fortifications en Tunisie*, Ministère de la culture Tunis 1999, p 80.

[37] يعني " المنزل في المفهوم المحلي الجربي المسكن والأرض الفلاحية المحيطة به.

ومـــنزل عبد العزيز، ومنزل قاسم، ومنزل منصور، ومنزل بالحلال. يحمل واحد منهم فقط صفة الفقيه واثنان منهم يحملان صفة الحاج وهو ما يجعل أفراد عائلة الساطوري ينسبون أنفسهم (أو ينسبون) إلى عائلة علماء دين.

لم ينجب واحد من الأولاد الذين يسكنون منزل منصور سوى البنات فيما أنجب الاثـــنان الـــباقون إناثا وذكورا. فكان الاخوة وأبناؤهم يعيرون منصور بسبب انجابه البـــنات دون الذكور. فلما شكا أمره للشيخ سالم الساطوري تحولت إحدى بناته من أنثى إلى ذكر بفضل بركة الشيخ. وأطلق على الذكر المحدث اسم سالم نسبة إلى الشيخ سالم الساطوري، ولقب بالفقيه. ولما تزوج الفقيه سالم هذا لم ينجب هو الآخر سوى الإناث.

وتفيد الرواية أن سالم ـــ بعد أن تحولت ابنة منصور إلى ذكر لقب بالفقيه سالم ـــ أخـــذ إلى القاضي، فتم ختانه وألبس ملابس الذكور محل ملابس البنات. وتخص الرواية هنا قاضي المالكية، وهي المؤسسة الشرعية التي يعتمدها المخزن. ويجدر بنا أن نلاحـــظ أن الـــنظام القضائي في جربة نظما، كل واحد منها يحكمه مذهب أو ديانة (القضاء الاباضي والمحاكم اليهودية إلى جانب القضاء السني).

فعـــلى خلاف الفترة التي تعين فيها ابن ناجي المالكي، في عهد أبي العباس أحمد الحفصي (772ـــ796 هـــ/1370ـــ1393م)، في خطة القضاء بجربة حين كان القاضي المالكي عندها لا يجد من يشاركه في أمر القضاء، أصبح القاضي المالكي خلال العصر الحديث والفترة المعاصرة مقصد كل من يقر بسلطة المخزن على جربة بما تعنيه السلطة مـــن قـــوة ونفوذ وضمان. وكان القضاء عند الأباضية من خصائص العزابة يعينون القاضي الاباضي فيقوم بوظيفته لوجه الله، دون راتب أو مكافأة أو يعينون القاضي من بين كبار التلاميذ الاباضية للبت في مسألة معينة [38].

[38] الجعبيري: *نظام العزابة...*، 1975، نفس المصدر، ص 88 وص 275.

وتذهب الرواية الثالثة والأخيرة إلى القول إنه لما كان الشيخ سالم الساطوري يصلي في خلوته "معمورة"، مر أمام الخلوة موكب عرس "جحفة"، فأمرهم بتغيير مسلكهم والابتعاد عن الخلوة، فلم يمتثلوا لإذنه فقيل أنه انتشر فيهم الوباء فقضي على نصفهم وفي رواية أخرى أنه دعا عليهم فتحولوا إلى حجارة لا تزال إلى اليوم موجودة قرب زاويته بجزيرة جربة.

وسواء توفي من انتشر فيهم الوباء جراء دعاء الساطوري أو تحولوا إلى حجارة، فإن الرواية ترتقي بالساطوري إلى ولي صالح قادر على التحكم في المجال الاجتماعي المحيط. وتذكر كراماته مرة أخرى بالكرامات عند الأولياء المالكية.

والمهم أن هذه الروايات سوف تؤسس للمحور الذي يتكون حوله الرصيد الفكري المرجعي لآل الساطوري ويصبح مقبولا عند المجموعة المحلية ومعترفا به وعلى أساسه يتم التعامل معهم داخل المجموعة وخارجها خلال العصر الحديث وإلى اليوم. وتجعل هذه المرتبة عند المالكية سالم الساطوري فاعل اجتماعي لأن دوره ديني وسياسي.

أما الاباضية فانهم يعتبرون الكرامات أمر باطل. ويعرفون الولي الصالح على أنه "العارف بالله تعالى قدر الممكن للبشر المواظب على الطاعة المجتنب المعصية المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات" [39]. ففي الوقت الذي يرتقي فيه الشيخ سالم الساطوري إلى مرتبة الولي الصالح عند أهل السنة في جربة بفضل الكرامات الصادرة عنه، يخرج حينئذ عند الأباضية من دائرة التفكير المذهبي الاباضي والثقافة الاباضية. فهو من جهة لا يعيش دينه لنفسه ومن جهة أخرى يمكن من الخروج بطريقة التصرف في المؤسسة الدينية من المنظومة الاباضية إلى الإدارة المالكية.

39 سعيد بن علي بن تعاريت: *كتاب المسلك المحمود*، طبعة حجرية، 1321، ص 249.

2ـ تاريخ نسج الروايات حول الساطوري وتحول مستاوة إلى مالكية.

لا تمكن الوثائق التاريخية التي خلفها لنا أهل جربة بصفة عامة من تحديد تاريخ معين لانتقال مجموعة مستاوة من الاباضية إلى المالكية. فلقد أدى انتقال مجموعة مستاوة وعائلاتها من الاباضية إلى المالكية إلى إتلاف وثائقها التاريخية [40].

ولم يكن هذا الشكل من إتلاف الوثائق العائلية مجانيا فهو شكل من أشكال تناسي الماضي. ومع انتقال آل الساطوري والعائلات المشابهة من مجموعة مستاوة ـــ مثل العائلات التي تنسب نفسها اليوم إلى سيدي مغزال ـــ من الاباضية إلى المالكية، سعت تلك العائلات إلى نسيان ماضيها الاباضي من خلال إتلاف وثائقها العائلية إلى درجة أن العديد من أفراد هذه العائلات لم يعد يذكرون اليوم ماضيهم الاباضي كليا.

ومن جهة أخرى لا توفر الوثائق التاريخية التي خلفها الاخباريون الجربيون الوهبية مثل رسائل سليمان الحيلاتي (القرن السابع عشر) [41] أو محمد أبو راس الجربي (القرن التاسع عشر) [42]أو غيرهما، أخبارا تسمح بتحديد تاريخ معين أو فترة محددة لانتقال مجموعة مستاوة وعائلاتها من الاباضية إلى المالكية. فالمصادر الاباضية الوهبية لم تذكر النكار أو أهل مستاوة إلا بالقدر الذي تسمح به مصلحة فئة الوهبية وخاصة مصلحة هياكل النفوذ المحلي للأباضية الوهبية ممثلة في نظام عزابتهم. فمجموعة مستاوة تمثل المنافس الرئيسي بالنسبة إلى مجموعة الوهبية في مجال النفوذ والتنافس على السلطة المحلية في جزيرة جربة.

ونجد في الأرشيف الوطني التونسي، في المقابل، وثائق رسمية متنوعة (دفاتر جبائية وأوامر وغيرها) تهم جزيرة جربة وأهلها بما فيهم المجموعات الاباضية. وتضمنت هذه

40 فيذكر كبار أفراد عائلة الساطوري اليوم (من بينهم سعيد الساطوري، المشرف على الزاوية) الكم الهائل من الوثائق التاريخية العائلية التي أحرقت أمام أعينهم في مناسبات تاريخية مختلفة سواء بمناسبة تقسيم الموروث العقاري أو في مناسبات أخرى.

41 سليمان الحيلاتي: *علماء جربة...*، 1998، نفس المصدر.

42 محمد أبو راس الجربي: *مؤنس الأحبة في اخبار جربة*، تحقيق محمد المرزوقي، تونس، 1960.

الوثـــائق الخطـــاب الذي كانت تتعامل به السلطة المركزية في تونس، عاصمة الإيالة، وباستنبول، عاصمة الإمبراطورية العثمانية، مع أباضية أهل جربة. وتمكن هذه الوثائق من تأريخ انتقال مجموعة مستاوة من الاباضية إلى المالكية، كما يظهر ذلك من خلال الروايات التي وردت حول سالم الساطوري، جد العائلة.

ويقسم الخطاب الرسمي أهل جزيرة جربة إلى مجموعتين إداريتين وجبائيتين محليتين مميـــزتين. يطـــلق على المجموعة الأولى "أخماس وهبية" وعلى المجموعة الثانية "أخماس مســـتاوة". وتعامـــلت السلطة المركزية مع المجموعتين على أساس انتماء أفرادها إلى الاباضـــية. ففرضـــت عليهم كما سبق أن ذكرنا ضرائب وآداءات خاصة بالاباضية منها"قانون القطيع" و"قطيع بر الترك" [43].

وفي متابعتنا للدفاتر الجبائية الخاصة بأهل جزيرة جربة وتسلسلها الزمني يتبين لنا أن السلطة المركزية بتونس تخلت عن تعاملها مع المجموعات المحلية في جربة على أساس انتســـاب أفرادها إلى الاباضية فأسقطت عنهم كل ما يذكر بانتسابهم المذهبي منذ سنة 1166 هـــــ(1752ـــ1753) وأصبحت تتعامل معهم على أساس انتسابها الجغرافي. وشملت هذه المعاملة كل من المجموعة الاباضية الوهبية والمجموعة الاباضية المستاوة التي تهم دراستنا هذه [44].

قبل هذا التاريخ لم تكن السلطة المركزية تعترف لعائلة الساطوري وبمجموعة مستاوة حينئذ إلا بانتسابهم إلى الاباضية وتتعامل معهم على ذلك الأساس. ولذلك

لم تكن الروايات التي يروج لها أفراد عائلة الساطوري حول جدهم الشيخ سالم الساطوري قبل 1166 هـ (=1752-1753) قادرة على أن تمكنهم من الإمتيازات التي تسندها السلطة المركزية للعائلات السنية التي ترجع إلى جد من رجال الدين أو

---

[43] *الأرشيف الوطني*، الدفتر 60، بتاريخ 1166هـــ / 1752 ـــ 1753.

[44] *الأرشيف الوطني*، الدفتر 60، بتاريخ 1166هـــ / 1752 ـــ 1753.

أصحاب الكرامات. فالسلطة كانت لا تعترف لهم بذلك ولا تتعامل معهم على ذلك الأساس.

ولهذا، يمثل تاريخ سنة 1166 هـ(=1752-1753) بالنسبة إلينا التاريخ الأقصى الذي لا يمكن أن يكون أفراد عائلة الساطوري قد نسجوا، قبله، خيوط الروايات الشفوية التي تعلقت بشيخ العائلة سالم الساطوري ومؤسسها.

ومن جهة أخرى، يحتفظ بالعديد من الوثائق الرسمية الصادرة عن السلطة المركزية بـــتونس (مثل أوامر تعيين في وظائف شتى وأوامر تجديد وغيرها) في الأرشيف العائلي لآل الســـاطوري اليـــوم أمكـــن لنا الحصول على البعض منها وفي الأرشيف الوطني [45].وتتضمن هذه الوثائق الخطاب الذي أصبحت تستعمله السلطة الحسينية في تعاملها مع عائلة الساطوري والعائلات الشبيهة في مجموعة مستاوة.

وتضمنت وثيقة " أمر تجديد " امتيازات لعائلة الساطوري ترجع إلى سنة 1271 هـ (=1854-1855) في عهد محمد باي. وتبين هذه الوثائق الرسمية ما حصل من تغير في الخطـــاب الذي كانت تتعامل به السلطة المركزية مع أفراد عائلة الساطوري. فلقد أصبح سالم الساطوري، مؤسس عائلة الساطوري، ينعت من قبل السلطة المركزية بمثل ما كان ينعت به أولياء المالكية فيطلق عليه "الشيخ" "وسيدي". وأصبح أحفاده ينعتون "بالمكرمين" تماما مثل أعيان العائلات المرابطية (عند المالكية) [46].

وأســـندت إلى أحفاد الشيخ الساطوري امتيازات شبيهة بالامتيازات المسندة إلى العـــائلات المـــرابطية. فكانت وثائق البايات تحث على "رعيهم (أحفاد الشيخ سالم الســـاطوري) واحـــترامهم وبرهم وإكرامهم وعدم الجسارة عليهم بحيث لا تمتلك لهم

---

[45] *الأرشيف الوطني*، السلسلة د، صندوق 21، ملف 32، الوثيقة رقم 1 بتاريخ 13 مارس 1901 تخص تعيين سالم بن مسعود الساطوري إماما وخطيبا بجامع زاوية جده الشيخ سالم الساطوري بحومة بني معقل بجربة.

[46] *أرشيف عائلة الساطوري*، أمر تجديد خاص بأحفاد سالم الساطوري مؤرخ في 1271 ، ونسخت الوثيقة في سنة 1277.

حـــرمة ولا يهظـــم لهم جناب ولا يقاس أحد منهم بما يقاس به الرعية" [47]. ولم تكن تســـند سلطة الحسينيين حينئذ هذه الامتيازات لعائلات دينية وعلمية وهبية في المنطقة الغربية من جربة. وتحيل الوثيقة إلى مرجع سابق هو أمر التحديد الصادر لأحفاد الشيخ الساطوري من قبل أحمد باي (1253-1272 هـــ/1837-1855). ثم تنص على أن أمر الـــتحديد الصادر عن أحمد باي بدوره تجديد لأوامر سابقة ـــ "لأوامر أسلافنا الملوك برد الله ثراهم" ـــ [48].

وقد لا نستبعد أن يكون حسين باي الثاني (1240-1251 هـــ/1824-1835) هو الذي أصدر أول أمر يتضمن امتيازات لأحفاد عائلة الساطوري. فنذكر أن هذا الباي أصـــدر نـــص "بيان أحكام صدرت ( ) لجماعة جربة" سنة 1249 (=1834) الذي اشـــتمل على عشرين حكما نظمت علاقة سلطة تونس مع "جماعة جربة" في الأمور الإداريـــة والجبائية وغيرها [49]. وكان أعيان المجموعة الوهبية آنذاك يسيطرون سيطرة كامـــلة عـــلى مؤسســـة "جماعـــة جربة" نظرا لثروة عائلاتهم المادية المقيمة بالداخل والشتات.

وعليه، فنحن نزعم أن السلطة المركزية بتونس لم تعد تعتبر أفراد عائلة الساطوري مـــن صـــنف الاباضية ومن أصحاب النزعات المعارضة أوالانفصالية بل تعتبرهم من العـــائلات الحـــليفة لـــلمخزن بداية من التاريخ الذي أصبحت تسند لأفراد العائلة امتيازات، مثلما كانت تفعل مع العائلات المالكية المحظوظة وتصدر لفائدتها أوامرها. وأصبحت السلطة المركزية تستند إلى هذا الخطاب في تعاملها مع عائلة الساطوري منذ أن أسند بايات تونس إمتيازاتهم إلى أفراد العائلة.

---

[47] *أرشيف عائلة الساطوري*: نفس الوثيقة.

[48] *أرشيف عائلة الساطوري*: نفس الوثيقة.

[49] *الأرشيف الوطني*: السلسلة التاريخية، صندوق 53، ملف 581، وثيقة رقم 1.

ويـــرجع هذا التاريخ إلى عهد مصطفى باي (1250-1253 هـــ/1834-1837) وحتى إلى عهد حسين باي الثاني (1240-1251/1824-1835) الذي تولى السلطة في تونـــس قبله. ونحن نعتبر استنادا إلى ذلك أن عهد حسين باي الثاني هو التاريخ الأدنى لنسج الذاكرة العائلية لآل الساطوري الروايات المتعلقة بالجد المؤسس للعائلة.

وخلاصة القول وإذا ما صحت هذه القراءة لوثائق الدولة ووثائق عائلة الساطوري المتوفرة لدينا، يكون التاريخ الأقصى لإنتاج الذاكرة العائلية لآل الساطوري للروايات حـــول الجد المؤسس الشيخ سالم الساطوري كما سبق أن ذكرنا 1166 هـ(=1752-1753) والتاريخ الأدنى هو عهد حسين باي (1240- 1251 هـ/ 1824 - 1835) وهي فترة تتراوح بين حوالي 70 و80 سنة.

3 – ماذا يفسر تحول انتساب مستاوة إلى المالكية.

يعتـــبر منتصف القرن 12 هـــ (منتصف القرن 18 م) نهاية سيطرة آل بن جلود، مشـــايخ الحكم الوهبية، على "مشيخة" جزيرة جربة وبداية هيمنة آل بن عياد. وكان آل بن عياد من أهم العائلات المخزنية في الإيالة التونسية خلال الدولة الحسينية. ولقد لعـــبوا دورا هامـــا في الدولـــة الحســـينية فدعموا هيمنة النفوذ المخزني على حساب المجموعـــات المحـــلية وهياكل نفوذها. وارتقى آل بن عياد الذين كانوا من العائلات الوهبية بجزيرة جربة [50] من وضع "المشيخة" إلى وضع "القيادة".

ومـــن جهة أخرى، انتشرت المالكية في جربة منذ العهد الحفصي ـــ وقد يكون قبل ذلك ـــ وتجذرت في الجزيرة في القرن 17 م (القرن 11 هـــ) وخاصة في القرن 18 م (القـــرن 12 هـــ). وكانت المالكية في جربة وخارجها الحليفة الموضوعية للسلطة بتونس.

---

[50] مجهول، مجموعة فتاوى وأحداث تاريخية وقعت في جربة، رسالة رقم 4 من المخطوط رقم 253 بتاريخ 1161-1156ه (1743-1748)، *المكتبة البارونية*، الحشان-جربة.

وتمسكت الفئات الإجتماعية الأخرى وخاصة الوهبية، في المقابل، بتفكيرها المذهبي الاباضي. وكانت هياكل النفوذ المحلي للوهبية، المعروفة بنظام العزابة، تتخذ من التفكير المذهبي الاباضي مبررا للواقع المحلي للمجموعة ومولدا له. وحري بنا أن نتساءل ما هي العوامل التي أدت بأفراد عائلة الساطوري ثم أهل مستاوة إلى التخلي عن تفكيرهم المذهبي الاباضي الأصلي والانتساب إلى التفكير المالكي؟

ـ العوامل الداخلية.

أ – "أرض" مجموعة مستاوة.

لم يكن المجال الاجتماعي بين المجموعة الوهبية ومجموعة مستاوة في جربة مستقرا وحدوده ثابتة. فلا يمكن نص التجاني (القرن 14 م = القرن 8 هـ) من تحديد "أرض مستاوة" ولا "أرض الوهبية" بدقة ويكتفي التجاني بالقول أن جربة "المدينة القديمة" كانت فاصلة بينها [51]. وكان مشايخ الدين الوهبية إلى حد القرن 16 والقرن 17 (=القرنين10–11هـ) حريصين على تعليم مجال مجموعتهم بزيارات منتظمة إلى " مساجد الشطوط " (الساحلية) دون تعليم ومزي للحدود الفاصلة بين أرضهم وأرض مستاوة وهو ما يترك المجال للوهبية للتوسع على حساب مستاوة وفقا لما تسمح به موازين القوى الداخلية في الجزيرة [52].

وبعد فترة طويلة من الاضطرابات وتدخل القوى المسيحية في الجزيرة تمكنت الوهبية في القرن 19 (= القرن 13 هـ)من احتواء السوق الكبير الذي حل محل "جربة القديمة" وكان هذا السوق بمثابة مجال لقاء و"جمعة"[53] يجمع الجربيين و"الغرباء" [54] على مختلف انتماءاتهم.

[51] التجاني: *الرحلة...*، نفس المصدر.

[52] سليمان الحيلاتي: *علماء جربة...*، 1998، نفس المصدر.

[53] كلمة جمعة ترجمة للكلمة الفرنسية Sociabilité

وكانت مجموعة مستاوة في ظل الصراعات المحلية مع الوهبية وعدم الإستقرار السياسي تسعى إلى تأمين حدودها وأرضها عن طريق التقرب إلى السلطة المركزية والتحالف معها لكسب القوة نظرا لعدم قدرة هياكلها على حماية مؤسساتها من "الآخر" وبحثها عن صد توسع نفوذ الوهبية وهيمنتها على كامل الجزيرة.

ب ــ ثروة أهل مستاوة.

تبين دراسة تبحث في توزيع الشتات الجربي في مجتمعات البحر الأبيض المتوسط خلال العصر الحديث [55]، أن أهل جربة كانوا يعيشون بالأساس على التجارة. وكان تجار الوهبية وحرفييهم يهيمنون على تجارة أهل جربة. ولم يبلغ أهل مستاوة في تجارتهم ما بلغته العائلات التجارية الوهبية. فعائلات أهل جربة التي كانت تنتشر في مصر وليبيا وتركيا كانت عائلات أغلبيتها من أهل الوهبية.

وكانت مجموعة الوهبية، تبعا لثروة أهلها بالأساس، تمسك بهياكل النفوذ في الداخل وعلى مستوى الشتات. وكان التجار والحرفيون الشتات من أهل مستاوة يتبعون هياكل نظام المشيخة التي تمسك بها الوهبية[56].

فيلاحظ أن "شيخ الجرابة" وأعضاء "جماعة جربة" في أي مجموعة من المجموعات الجربية حول البحر الأبيض المتوسط، كانوا يختارون من بين أعيان تجار المجموعة الاباضية الوهبية. ولم نعثر على حالة من الحالات التي تولى فيها أفراد من عائلات مستاوة إحدى مؤسسات النفوذ للشتات الجربي.

[54] لفظة " الغرباء " لفظة يستعملها الأباضية في تصورهم لأهل السنة الوافدين على جربة ومنها تسمية " جامع الغرباء " الذي يحافظ على نفس التسمية منذ العهد الحفصي وربما قبل ذلك إلى اليوم.

[55] محمد المريمي: مجموعات الجربيين الشتات في حوض البحر الأبيض المتوسط، في *أعمال الدورات الأربعة الملتقى البشير التليلي للتاريخ*، تونس، 1996.

[56] انظر، محمد المريمي: " مجموعات الجربيين ... "، نفس المرجع.

وأمـــام قوة المجموعة الوهبية في مجال النشاطات الاقتصادية وما كان لها من نتائج على مستوى نفوذ هياكل مجموعة الوهبية وهيمنتها السياسية في الداخل وعلى مستوى الشـــتات كانت عائلات مجموعة مستاوة تبحث عن مصادر ثروة جديدة تماما مثلما كـــانت تبحث عن ضمان لمجالها الاجتماعي.وكان تحول أهل مستاوة إلى الانتماء إلى مالكية من شأنه أن يفتح سوق العمالة [57] التي تسمح به السلطة المركزية بما تمسكه من وظـــائف. كما يمكن الانتساب إلى المالكية بجزيرة جربة خاصة من امتيازات تسندها السلطة لبعض العائلات التي تعتمد عليها في نظامها السياسي والاداري.

ـــ العوامل الخارجية.

ووجـــدت إضافة إلى العوامل الداخلية عوامل أخرى خارجية تفسر تنصل أهل مستاوة الإباضية من تفكيرهم المذهبي الأصلي واعتناقهم المالكية الذي تعتمده السلطة بـــتونس.فيلاحظ أن مجموعة مستاوة الاباضية لم تؤسس، مثلما هو الشأن بالنسبة إلى مجموعـــة الوهـــبية، لشـــبكة من العلاقات تربطها بالخارج. فلقد تقلص وجود فرق "النكار" في جنوب الجزيرة العربية وخاصة في عمان. واستمرت الدولة في عمان تعتمد عـــلى قاعدة اجتماعية وسياسية اباضية ربطها شبكة من العلاقات مع اباضية الوهبية بجربة إلى اليوم و لم يتحقق ذلك لمستاوة [58].

وكـــان الاباضية الوهبية في جربة على صلة أيضا بالمجموعات المحلية الاباضية في الشمال الإفريقي (جبل نفوسة ـــ وادي ميزاب الخ). فلم يرتق أهل مستاوة إلى نسج روابط وعلاقات دينية وثقافية تمتد شرقا وغربا مثل ما نجحت فيه هياكل نفوذ الوهبية

---

[57] بمعنى سوق الشغل.

[58] نور الدين السالمي: *تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان*، مكتبة السالمي، مسقط، سلطنة عمان، 2ج، ج 2. فرحات الجعبيري: *العلاقة بين عمان وشمال إفريقيا من النشأة إلى القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر مسيحي*، مقال غير منشور، د. ت.، حوالي 80 صفحة.

بجزيـــرة جـــربة [59]. وسوف يكون لتفوق الوهبية على مستاوة في مجال العلاقات مع الخارج تأثير كبير في دفع عائلات مستاوة إلى التحول إلى المالكية بأكثر سهولة.

ومـــن جهة أخرى كان النصف الثاني من القرن 18 م والنصف الأول من القرن 19 م (= نصـــف القرن 12 – نصف القرن 13 هـــ)، فترة صعبة بالنسبة إلى أباضية جـــربة الذين قامت نشاطاتهم الاقتصادية على التجارة والنشاطات البحرية [60]. فمنذ منتصف القرن 18 م، شهدت أوربا ظهور البواخر التجارية. فذهب تجار مرسيليا إلى منع تجار الأتراك بشكل عام من نقل بضائعهم على السفن التابعة لدولهم. وذهب تجار مرسيليا أيضا إلى منع تجار الشمال الإفريقي من تكوين أسطول بحري خاص [61].

والملاحـــظ أن المجـــال العـــثماني الذي هو المجال التجاري التقليدي لأهل جربة وتجـــارهم وجدوا فيه منافسة تجار "بر النصارى" [62]. وقد تضرر أهل مستاوة شأنهم شأن بقية أهل جربة بهذه السياسة التجارية للدول الكبرى في البحر الأبيض المتوسط.

III – أهم نتائج تحول مستاوة إلى مالكية.

كانت للديناميكية الفكرية والثقافية التي شهدتها مجموعة مستاوة بداية من القرن 18 م (= القرن 12 هـــ) نتائج في مستويات عدة داخل الجزيرة وفي العلاقة مع القارة. وســـوف نكـــتفي بالـــتركيز على مسألتين تتمثل الأولى في مساهمة عائلة الساطوري والعـــائلات المماثـــلة مـــن مستاوة في إعادة تنظيم الجزيرة والثانية في دورها في دمج السكان المالكية الوافدين على جربة من القارة.

---

[59] انظر، فرحات الجعبيري، *نظام العزابة...*، 1975، نفس المصدر.

[60] تأثرت تجارة أهل جربة وتجارة السواحل بشكل عام جراء الثورة الصناعية وما أنتجته من سفن بخارية غيرت نمط الملاحة والنشاطات البحرية في النصف الثاني من القرن 18 والقرن 19 خاصة.

[61] انظر Lucette VALENSI, *Le Maghreb avant la prise d'Alger*,Flammarion, 1969

[62] انظر، محمد المرزمي: مجموعات الجربيين...، نفس المصدر.

1 - عائلة الساطوري وإعادة تنظيم الجزيرة.

أسست عائلة الساطوري في الجزء الشرقي من جزيرة جربة منذ تحول أفرادها في القرن 18 م (القرن 12 هـ) إلى المالكية وتخليهم عن الإباضية، جملة من الولاءات بين أهل مستاوة. وتبرز هذه الولاءات، من خلال الوثائق التاريخية المكتوبة، في الهبات التي يتقدم بها أفراد عائلات مستاوة وقفا لزاوية الساطوري وقد أشرنا سابقا إلى أمثلة عديدة من ذلك.

كما يلاحظ أن زاوية الساطوري كانت ولا تزال إلى اليوم مقصدا للزائرين. و"الزيارة " هي عقد بين الزائر والمزار، وهي لفظة تعني كما هو الحال عند باقي الزوايا في البلاد ولائم وهبات يتقدم بها الزائرون المتبركون إلى عائلة الزاوية وأصحابها والوافدين عليها، مقابل ما يطلبونه من "بركة" من المكان المزار وأصحابه. فأصبح معلم زاوية الساطوري قطبا تدور في فلكه عدة عائلات من مجموعة مستاوة في المجال الاجتماعي الريفي بالجزء الشرقي من جزيرة جربة.

ودخل أعيان الساطوري من جهة أخرى في ولاءات مع المجال الاجتماعي والسياسي بحومة السوق. فلقد كانت حومة السوق ترمز إلى صنفين من العائلات. يتمثل الصنف الأول من هذه العائلات في العائلات المخزنية من بينها عائلة بن عياد أصبحوا قياد في جربة منذ منتصف القرن 19 (= القرن 13 هـ) [63]. ونذكر أن الرواية الثالثة التي تروى حول الشيخ سالم الساطوري، تنص على أن آل الساطوري وفدوا على القاضي السني ليقر بتحول الفتاة إلى ذكر. وهو شكل من أشكال الانحياز الكامل للمنظومة الادارية والسياسية السنية ورموزها.

---

63 تسكن عائلة بن عياد إقليم صدغيان لكنها تمارس السلطة من حومة السوق، المركز الاداري والسياسي ومن هذه الناحية فهي تحسب على حومة السوق. انظر، محمد المريمي: *الفئات الإجتماعية في جربة وعلاقتها بالسلطة المركزية خلال العصر الحديث*، شهادة الكفاءة في البحث، جامعة تونس، 1994، ص 98 وما بعدها.

ويتمثل الصنف الثاني من العائلات في حومة السوق في العائلات الزوايا، الحليفة الموضوعية للسلطة المخزنية. وليس لنا إمكانية دراسة مستويات العلاقات الناتجة عن تحالف عائلات مجموعة مستاوة مع العائلات المخزنية المقيمة في حومة السوق ولكن نحن نعلم أنه، في مستوى المصاهرة مثلا، كان زواج العائلات الاباضية بشكل عام لا يتم إلا بين الاباضيين أنفسهم. لكننا نلاحظ اليوم أن العائلات المنتسبة إلى مجموعة مستاوة بصفة خاصة أصبحت تتصاهر مع عائلات مالكية من حومة السوق.

وارتقت عائلة الساطوري كما تدل عليه الأوامر المتضمنة امتيازات لأحفاد الشيخ الساطوري أو تولي وظائف مثل تولي الفقيه سالم بن مسعود الساطوري عدلا بخمس بني معقل [64] الصادرة لهم في القرن 19 (= القرن 13 هـ) من بايات تونس إلى العائلات المخزنية لكن استمرت مع ذلك العائلات المخزنية وعائلات الزوايا المالكية في حومة السوق تلعب الدور الأهم في التمفصل بين العائلات الريفية في جزيرة جربة والسلطة المركزية بتونس وأحيانا بأسطنبول سواء خلال الأزمات القائمة بين المجموعات المحلية أو بين العائلات وكذلك في الفترات العادية [65].

---

64 *أرشيف عائلة الساطوري*، أمر صادر عن محمد باشا باي لأحفاد الشيخ سالم الصاطوري في 29 شوال 1271 وأمر تولية الفقيه سالم بن مسعود الساطوري عدلا بخمس بني معقل بتاريخ 22 شعبان 1315 (= 15 جانفي 1898)

65 ونحن نعلم أنه في سنة 1746 لعب مشايخ عائلة الجمني المالكية دورا كبيرا في الوساطة بين آل اليونسي التي كانت بيدهم إمامة جامع تاجدايت و" جماعة المصلين " في الجامع نفسه التابع لنظام العزابة الاباضي.ولعب مشايخ الجمني ذلك الدور لما ارتقت المسألة إلى السلطة المركزية بتونس كما لعب آل الجمني، سنة 1749، دورا في محاولة مد الفقيه سليمان أو الفقيه صالح من أولاد بومسور بأوامر سلطانية من تونس لتولي إمامة المسجد الكبير المنسوب إلى عائلة بومسور [65]. ونحن نفترض أن العائلات المالكية وخاصة عائلة الجمني لعبت دورا هاما في ارتقاء عائلة الساطوري إلى عائلة حليفة للمخزن ومد السلطة المركزية بتونس لأوامر تجعل من أعيان عائلة الساطوري أصحاب الإمتيازات التي حصلوا عليها من السلطة المركزية الحسينية.

ومهما يكن من أمر فإن عائلة الساطوري ساهمت في إحلال توازن جديد داخل المجـال الاجتماعي والسياسي والإداري بجزيرة جربة. وأصبحت جربة المخزن بداخله أرحـب ممـا كانت عليه في السابق. ومنذ التحول الذي شهدته عائلة الساطوري في انتسـاب أفـرادها للنمط المخزني وتبنيهم له حصل تحول على مستوى رقعة المراكز والأطراف و لم تعد المراكز في جربة لها نفس المكانة والأطراف كذلك نفس الأطراف.

ولعـبت حومة السوق بما تحتويه من مؤسسات مخزنية وعائلات حليفة للمخزن، بالنسبة إلى عائلة الساطوري دور المركز. وتأسست نوع من الشبكية الهرمية المتدرجة ذات المراكز المتعددة: تونس وحومة السوق وزاوية الساطوري. وعليه أصبحت زاوية الساطوري إحدى مراكز حومة السوق المتأخرة في وسط اجتماعي ريفي.

2 - دور مستاوة في حركة السكان الوافدين على جربة .

بتخـلي أهل مستاوة عن الاباضية وانتسابهم إلى المالكية تأثرت التركيبة السكانية لمجتمع جزيرة جربة. فقد تخلى مشايخ العلم والدين من مستاوة عن تطبيق مبدأ "الولاية والـبراءة". وكـان هذا المبدأ الإباضي الشرعي أحد مقومات السياسة العرفية الذي تعتمده الهياكل المحلية لجميع الفرق الاباضية [66].

وطبقت هياكل النفوذ المحلي الاباضية في جربة باستمرار سياسة المكيالين. فكانت تعتـبر العائلات الوافدة على جربة من فئة "الغرباء" لما يكون أفرادها يعتنقون التفكير المذهبي السني، المالكي أو الحنفي. فلا سبيل إلى إدماجها ضمن "مجتمع جربة الاباضية" عن طريق الوظائف الإدارية والسياسية لهياكل النفوذ المحلي أو عن طريق المصاهرة أو ملكية العقار أو غيرها. فبقي الغرباء ضمن مجال جغرافي محدود. فلم يكن بوسع الغرباء

[66] فرحات الجعبيري: *نظام العزابة ...*، نفس المصدر

في بلدة آجيم مثلا إقامة مسجد مالكي إلا في سنة 1911(1329 – 1330هـ) أي خلال الفترة الاستعمارية [67].

واعتـبرت هيـاكل النفوذ المحلي الاباضية العائلات الاباضية الوافدة على جزيرة جـربة، في المقابل، عائلات جربية، محلية، حال استقرارها بالجزيرة. ويذكر أن عائلة الشماخي، التي يرجع أصلها إلى يفرن بجبال نفوسة، كان أفرادها ينسبون إلى تيواجن مـن إقلـيم قلالة، ويعتبرون من أهلها لأنهم يعتنقون المذهب الاباضي. واشتهر أحمد الشماخي المتوفي سنة 928 هـ (- 1521 ـ 1522) صاحب كتاب السير على أنه من جزيرة جربة [68].وذكر فرحات الجعبيري، في كتاب نظام العزابة عند الاباضية الوهبية بجـربة، أن الهياكل المحلية الاباضية تعتبر كل واحد من العائلات الاباضية الوافدة على جربة " أمين ثقة مصدق في أخباره وشهادته تبنى عليه الأحكام. ويتمتع. بحصانة دينية تصـون عرضه وتحفظ له غيبته وتوجب نصرته والاهتمام بشؤونه" [69]. وعلى أساس تلك الخصال يمكن أن تسند إلى بعض الوافدين الأباضية وظائف إدارية وسياسية ضمن نظام العزابة [70].

وتدل وثائق عائلية خاصة [71] والراجعة إلى النصف الثاني من القرن الثامن عشر (- القرن 12 هـ) وما بعده، أن أهل مستاوة لعبوا دورا هاما في إدماج العائلات المالكية الوافـدة ضمن مجتمع أهل جربة بأشكال مختلفة.ففي عقد بيع بتاريخ أوائل ربيع الثاني 1198 هـ (- 1784)، تصدق محمد بن علي عرف المعوذي، "بجميع فراوة [72] أرض

[67] *الأرشيف الوطني*: السلسلة د، صندوق 21، ملف 72

[68] ابن تعاريت، رسالة في تاريخ جربة في تراجم علماء الجزيرة وذكر أمرائها من بني سمومن وبني الجلود، *المكتبة البارونية*، مخطوط، 1274 هـ، ص 1.

[69] فرحات الجعبيري: *نظام العزابة...*، نفس المصدر، 1975، ص 103.

[70] انظر، سليمان الحيلاني: *علماء جربة...*، 1998، نفس المصدر، ص 93.

[71] محمد المرمي: *التفكير المذهبي...*، 1994، نفس المصدر، انظر الملاحق، الوثيقة رقم6.

[72] تعني مجموعة من الزياتين الكثيفة في مساحة محدودة.

بمـــا فيهـــا من زيتون وغيره" كائنة بغابة خمس الماي من جزيرة جربة، معروفة بغابة فرغوس، على محمد بن أحمد ابن محمد ابن مريم من قبيلة أولاد سيدي محمد ابن مريم المالكية [73].

كانت الأرض الهبة قد اشتراها محمد بن على من الأخوين أبو بكر ويحي، نعتا كل مـــنهما بالفقيه. وكانا أبناء لإسماعيل ابن بوبكر. نعت والدهما هو أيضا بالفقيه وكان مـــن "عـــزابية حومـــة بدوين" من خمس بني معقل. وشهد على كتابة العقد كل من ســـليمان بـــن عـــبد العلا ومحمد بن سعيد الساطوري. ويدل جميع هؤلاء الفاعلين، أسمـــاؤهم وانتسابهم الجغرافي وانتماؤهم الإداري والسياسي أن محمد بن علي هو من مستاوة، في الجزء الشرقي من جزيرة جربة [74].

وأصبحت عائلات مستاوة التي كانت ترمز لها عائلة الساطوري وغيرها، تسلك سياســـة المخزن وهذه السياسة التي رعاها المراديون والحسينيون وتستجيب لأهداف الأقلية السنية المالكية والحنفية وقبائل الأعراض والجنوب الشرقي التونسي بشكل عام تـــرمي إلى احترام أهل جربة للهجرات السكانية الوافدة وإتاحة الفرصة لها للتجذر في الجزيرة.

فلم يتم إدماج العائلات المالكية في جزيرة جربة من قبل مجموعة الأباضية المستاوة مـــن الأسفل بل عن طريق عائلات الأعيان. ولعب مشايخ الدين والعلم دورا هاما في جـــر المجموعـــة لتبني السياسة المخزنية. فأصبحت مستاوة الحليف الموضوعي للسلطة وللعائلات المالكية في جزيرة جربة.

---

73 محمد المرمي: *التفكير المذهبي...*، 1994، نفس المصدر، نفس الملحق.

74 ونصت الوثيقة على أن مع انتقال العقار من محمد بن علي إلى محمد ابن مريم (الذي وصف بالناسك ـــ والولي الصالح ـــ وسيدي ـــ وابن المزار ـــ والمتبرك به حيا وميتا ـــ) يسقط عن صاحبها أداء " قانون القطيع ". يدفع هذا الأداء من قبل أهل جربة من الأباضية الوهبية ومستاوة وتعفى من دفعه العائلات المالكية التي لها حظوة عند السلطة المركزية. انظر محمد المرمي: *التفكير المذهبي...*، 1994، نفس المصدر، انظر الملاحق، الوثيقة رقم6.

الخاتمة.

شهدت عائلة الساطوري خلال الفترة الممتدة بين أواخر القرن 18 وبداية القرن 19 م (= القرنين 12 و13 هـــ) ديناميكية متميزة. كما شهدت عائلات أخرى مماثلة مـــن أهل مستاوة نفس الديناميكية. فكانت عائلة الساطوري تمثل هذه العائلات. ولم تكـــن هذه الديناميكية مجانية، ففي ظاهرها هي تخل عن العرف السائد عند الاباضية بشـــكل عام والذي كانت تعتمده هياكل النفوذ المحلي بجزيرة جربة والمعروف بنظام العزابة. وفي حقيقة الأمر، تعتبر ما شهدته الذاكرة العائلية لآل الساطوري تبرير لتحول مـــن واقع محلي تحركه هياكل لها نزعة انفصالية إلى واقع مجتمع كلي ينصهر فيه أهل مستاوة.

وشـــهد المجتمع المخزني في جزيرة جربة عن طريق عائلة الساطوري وغيرها من العـــائلات المماثلة، تحولا هاما. إذ مكنت السلطة المركزية تلك العائلات ـــ وكانت عـــائلات ديـــن وعـــلم في مجموعة مستاوة ـــ من الارتقاء لتلعب دور التمفصل بين عائلات المجموعة المحلية نفسها والقوى الأخرى.

وفتحت عائلة الساطوري والعائلات المماثلة، بداية من منتصف القرن 18 والقرن 19، الـــباب أمام المخزن للاعتماد على عائلات تعتبر عند المجموعات المحلية غير وافدة بحكـــم انتسابها إلى الاباضية. ولم يكن يعتمد المخزن قبل ذلك إلا على عائلات دينية وافدة. وكان يتعامل مع هذه العائلات المخزنية محليا على أساس أنها عائلات غريبة. ولم يرتقي أفراد تلك العائلات إلى مرتبة الأعيان المحليين إلا بفضل دعم السلطة المركزية لها ومن أهم تلك العائلات عائلة الجمني المالكية.

ولم تمكـــن السلطة المركزية بتونس عائلة الساطوري والعائلات المشابهة من لعب ذلك الدور إلا متى تخلت عن انتسابها المذهبي الأصلي واعتنق أفرادها المذهب المالكي. وكان ذلك شرطا لازما وكافيا ليتحقق لعائلات مستاوة لعب ذلك الدور.

واعتمدت السلطة المركزية على عائلة الساطوري والعائلات المشابهة لتنظيم جزيرة جربة. فأصبح النظام المخزني القائم على المالكية نظاما أكثر مركزية. وأصبحت عائلة الساطوري، المتولية لمشيخة زاوية الساطوري، مركزا في وسط اجتماعي ريفي.يتبع حومة السوق مقر المؤسسات الادارية والسياسية والعسكرية والقضائية المخزنية للحسينيين بتونس.

وأسست عائلة الساطوري ولاءات في اتجاهين. يبين رصيد وقف زاوية الساطوري درجة ولاء عائلات مجموعة مستاوة لزاوية الساطوري وعائلات الساطوري المتولية لمشيخة الزاوية في الوسط الريفي لأهل مستاوة. وتبين الأوامر الصادرة عن السلطة بتونس لأفراد عائلة الساطوري درجة الولاء الذي أصبح أفراد العائلة يلتزمون به تجاه السلطة الحسينية.

ويعتبر تشبه أعيان الساطوري بأعيان العائلات المالكية بالسوق الكبير وخاصة تشبههم بأعيان عائلة زاوية الجمني إحدى أسس شبكة العلاقات التي أقامها افراد الساطوري مع العائلات المخزنية بجربة وخارجها. فخرجت مستاوة من المجموعة المحلية التي كانت عليها في السابق إلى جزء من المجتمع الكلي الذي تمثله السلطة المركزية بتونس العاصمة وترمز له.

محمد المريمي

TABLES 2002 (Tome LXV)

Recensions

Kenneth CRAGG *The Weight in the Word, Prophethood, Biblical and Quranic* (R. Echeverria) 137-139
Mikel DE EPALZA (trad.), *L'Alcorà* (R. E.) 289-291
Aïcha FILALI *Parfums d'ambre* (Ch. Mayaud) 139-141
M. Fawzî al-GHUZZI *Ârânkhwîz aw rajul al-mi`râj* (L. Issa) 291-292
Tarif KHALIDI *The Muslim Jesus* (J. Fontaine) 141-142
Dahris MARTIN *Among the Faithful* (D. Bond) 142
Stephane RUSPOLI, *Le traité de l'Esprit saint, de Rûzbehân de Shîrâz* (Ch.M.) 143-145
Lucie PRUVOST *Femmes d'Algérie* (I. Estremera) 293-297
REMMM *Débats intellectuels au Moyen-Orient dans l'entre-deux guerres* (K. Bendana) 298-300
Naomi SHEPHERD *Ploughing Sand, British Rule in Palestine 1917-1948* (D. B.) 145-146
Abdulaziz al-SUDAIRI *An intellectual biography of Albert Hourani* (D.B.) 146

Comptes Rendus ..... 147-166 et 301-306
Références Tunisiennes ..... 167-179 et 307-319
Ouvrages reçus par la Revue 181-185
Tables 321-322